

المستخلص

أحمد هاشم سالم الزبيدي. النزعة اللا تاريخية في الحضارة الغربية المعاصرة
دراسة فلسفية لشخصيات منتخبة. (اطروحة دكتوراه).- الجامعة المستنصرية -
كلية الآداب : قسم الفلسفة ، ٢٠١٠ .

إن دراسة فلسفة التاريخ والحضارة ، ضرورة معرفية فلسفية مفيدة للإنسان للاستفادة من منجزات الأمم وأخفاقاتها وهي تستخلص من الماضي العبر والقوانين والدروس الكاشفة عن مسار التاريخ ، ليكون دليلاً وشمعة معرفية وضياءً في بناء الحاضر ، وأستشراف المستقبل بثقة وطموح مادام شعار العصر (المعرفة قوة) ولاسيما المعرفة الفلسفية والعلمية التي يتناغم فيها دور المؤرخ والعالم والفيلسوف للكشف عن جديد الفكر الفلسفي الحضاري المعاصر ، لا بد من دراسة روافد ذلك الفكر ومكوناته المعرفية والإنسانية ، لكي نتمكن من مواجهة عصف (العولمة الاحتكارية) إذا ما رغبتنا معرفة صيرورات الحضارة الإنسانية المتركمة عبر القرون والمراحل وأسرارها وجوهرها .

يرى البعض أن هنالك أزمة في الحضارة المعاصرة ناتجة عن خيبة أمل الإنسان بما أنتهت إليه سيرورتها من تقريط بكرامة الإنسان وحقوقه وتحويله إلى (شيء) في ظل العولمة وفلسفتها الفوضوية (الكيوسية) التي تعصف بوجوه الحياة الاجتماعية في العالم المتقدم (عالم الشمال) قبل العالم الثالث (عالم الجنوب) ومنه وطننا .

ولبلوغ هذه الغاية (العلمية) في قسم الفلسفة ، الذي جعل (فلسفة العلوم) أحد ميادينه ، لا بد من أن تتوزع الأطروحة على الاتجاهين الأكثر حضوراً :

الاتجاه الأول : يمثل آراء ومواقف فلاسفة الحداثة وما بعدها ممثلين للنزعة التاريخية في الحضارة الغربية من التاريخ والحضارة التي اجتمعت تحت عنوان النزعة التاريخية ، التي استمدت عناصرها المعرفية من تجارب الأمم والشعوب ، في أمكنة وأزمنة مختلفة ، منذ عصر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) إلى يومنا هذا .

الاتجاه الثاني : تمثله آراء فلاسفة الغرب في حداثتهم الثانية والثالثة الراضين لمنطق التاريخ وحكمته وقوانينه ومحركاته ، التي تمثل النزعة اللاتاريخية (التجريبية) بعد أن أخرجت عدمية نيتشة (ت ١٩٠٠م) المشروع الحداثوي الغربي (أوربا) لتفتح في أمريكا عصرراً جديداً من الحداثة الثانية والثالثة ، مستقيدين من (بؤس التاريخية) عند كارل بوبر ومن تبعه من المفكرين مثل توفلر وفوكوياما وهنتنغتون (في ظل العولمة) والثورة المعلوماتية ، في سياق بناء مفهوم جديد لوقائع التاريخ وقيام الحضارة على اساس اللحظات التاريخية والزيغ الزماني (الزمن الهندسي) التقني الجديد ، وهو أمر مطلوب في دراستنا الفلسفية - الحضارية المعاصرة والمستقبلية .

ابتداءً تضمنت هذه الأطروحة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة واستنتاجات جريده المصادر والمراجع وملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية حيث أشتمل الفصل الأول والذي بعنوان فلسفة التاريخ والحضارة في القرن العشرين وممهداتها على توطئة ومبحثين :

ألقينا في التوطئة نظرة موجزة على تعريف فلسفة التاريخ والحضارة ، مبيناً أهمية دراسته دراسة فلسفية تكشف اهتمام فلسفة التاريخ والحضارة بالإنسان ومحركاته المختلفة .

ووقفنا في المبحث الأول : عند أهم نظريات فلسفة (حكمة) التاريخ قبل القرن العشرين في الحضارة الغربية .

١- هيجل : الذي عزى حركة التاريخ إلى (منطق الضرورة) التي أوجبتها (روح العالم) و(العقل المطلق) الذي كان بالقوة ثم حل بالفعل ، وهو صاحب (العامل المثالي الجدلي التقدمي) للتاريخ .

٢- كارل ماركس : الذي فسر التاريخ تفسيراً مادياً في مقابل التفسير المثالي العقلي لهيجل ، ويرى أن الحضارة لا تزدهر وأن البشرية لا تتقدم إلا بفضل العامل المادي الاقتصادي . الذي دفع بالبشرية من المشاعية فالعبودية ثم للإقطاع فالبرجوازية وصولاً إلى الاشتراكية الشيوعية.

٣- نيتشه : الذي يعد حلقة الوصل بين النزعة التاريخية في أوروبا والنزعة اللاتاريخية (الأمريكية) . إذ وضع حجر الأساس لتلك النزعة (اللاتاريخية) من خلال رؤيته العدمية ، حتى عرف بفيلسوف الخطر . الذي أخرج تجربته الحداثه الأوروبية ليدفع بها إلى ما بعد الحداثه .

أما المبحث الثاني ، فاشتمل على مقصدين ، درسنا في الأول نظريات منتخبة لما بعد الحداثه وأمثله في فلسفة الحضارة الأوروبية (في القرن العشرين) . ومن الحداثتين الثانية والثالثة (الأمريكية) .

أولاً : مختارات لما بعد الحداثه في فلسفة الحضارة (النزعة التاريخية) :

أتجه البحث الفلسفي بعد نيتشه في اوروبا إلى (الحضارة) نشأتها ، أرتقائها وتحللها ، متمثلة بالأثر الاجتماعي للإنسان ، حيث إن للقرن العشرين وما تلاه ، منطقه الإنساني في تفسير التاريخ والحضارة خارج المركزية الأوروبية مبتدأ بأشهر الفلاسفة أمثال :

١- اشبنجلر :

وهو يتحدث عن أزمة الحضارة الغربية في كتابه (تدهور الحضارة الغربية) إذ يرى أن الحضارة الغربية آيلة للسقوط ، نتيجة لاهتمامهم بالجانب المادي / التكنولوجي ، على حساب الجانب الإنساني ، لذلك خرج هذا المفكر عن عقده (المعجزة الغربية) إلى أفق خاص - عام .

٢- توينبي :

وهو يؤكد على ضرورة النظر إلى التاريخ بعده أساساً للحضارات لا على أساس الدول ، وأن القانون الرئيسي للحضارة في مفهوم توينبي هو (التحدي والاستجابة) . دارساً لأكثر من إحدى وعشرين حضارة إنسانية ، مختلفة الأزمنة والأمكنة ، على أساس العامل الإنساني الاجتماعي (الأخلاقي - الديني).

٣- غارودي :

صاحب فلسفة حوار الحضارات، ورافض طريقة تفكير الغرب الرأسمالي في عدّ الغرب (الأبيض المركز والقياس لكل شيء) مع أنه يحمل الوجه الاستعماري القبيح للدور الذي يلعبه رجال السياسة والمعسكر الغربي في التاريخ وهو ما أسماه (بالشر الأبيض) ممثلاً بالاستعمار والنزعات الاستعمارية ، ضد الشعوب النامية (المستعمرة) طوال قرون الاستعباد من الأسياد .

ثانياً : درسنا الممهدات الفلسفية للنزعة اللاتاريخية المعاصرة في الغرب الأمريكي وممثلاً بآراء كارل بوبر ونقده للنزعة التاريخية ، ورفضه للقيود الأيديولوجية في التجربة الحضارية

، بعد أن لاحظ اتجاه الدراسات الفلسفية في التاريخ أوروبياً مع إطلالة القرن العشرين إلى موضوع الحضارة ليكتمل على أيدي فلاسفتها - الإرث الفلسفي التاريخي السابق للإنسانية ، والذي انتهى بمسيرة الفلسفة في أوروبا بعد (عدمية نيتشه) إلى أخفاق التجربة الحداثوية لتنتقل إلى (ما بعد الحداثة) بخلاف مسيرة الحضارة الليبرالية التي استفادت من إنهيار المعسكر الاشتراكي وسقوط جدار برلين وتفكك حلف وارشو والكوميكون مع تسعينات القرن العشرين واستقرار الولايات المتحدة بعرش القطب الأوحده منذ عام ١٩٩٠ ليصل ذروته بالتعبير عن الحداثة الثالثة التي بلغتها النزعة اللاتاريخية في الغرب الأمريكي بعد أن بدأها كارل بوبر من انجلترا في نقده النزعة التاريخية ورفضه فكري الحتمية التاريخية والطبيعية إلى حين غلبة منطق الكيوسية (الفوضوية) ، فالكيوسية التي هي فلسفة الفوضى والانبثاق (النظام) ! أو قل تكافؤ (الفوضى مع النظام) أو (العشوائية مع القواعد) ، أو اللاخطي مع الخطي في كل واحد يتجاوز الأساليب التقليدية في البحث العلمي بسبب تهشيم الحتميات (التاريخية والفيزيائية) على يدي كارل بوبر والتناغم مع نتائج دراسات مدرسة كوبنهاجن في فلسفة العلوم ومدرسة بروكسل ، جميع هذه النتائج العلمية صيغت في إطار فلسفي يعبر عن أهداف العولمة المتناغمة مع (نظرية المواقف) لبوبر من جانب ، والمنسجمة مع أطر ثقافية من جانب آخر تحدث عنها كل من الفين توفلر في (صدمة المستقبل وخرائطه) و (الحرب والحرب المضادة) و (تحول السلطة) و (الموجة الثالثة). وفوكوياما في (نهاية التاريخ وخاتم البشر) و (التصدع العظيم) و (نهاية الإنسان) و (الثورة البيوتكنولوجية) . وهنتغتون في (صدام الحضارات والثقافات والأثنيات) التي سنتناولهم بالتفصيل في فصول الأطروحة اللاحقة .

أما الفصل الثاني : الذي جاء بعنوان : الفين توفلر وفلسفته الحضارية - مؤطرة بالنزعة اللاتاريخية - فقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

دار المبحث الأول ، في الصيرورات الحضارية موزعة على ثلاثة فقرات تمثل الموجات الحضارية عنده كما سنقف عندها .

أولاً : تحت عنوان حضارة الموجة الأولى (الثورة الزراعية) درسنا فيه خصائص حضارة الموجة الأولى وطبيعتها . وطبيعة الاجتماع البشري (الفرد - الأسرة - المجتمع) ومكانة الأسرة في حضارة الموجة الأولى .

أما منطق الصراع وفلسفة التحالفات في مجتمع حضارة الموجة الأولى فيشتمل على :

- أ - قضايا الحرب والسلام ، الحروب والصراعات .
- ب - الثقافة في حضارة الموجة الأولى .

أما ثانياً فجاء : بعنوان حضارة الموجة الثانية (الثورة الصناعية) الذي درسنا فيه جملة قضايا فلسفية مثل : طبيعة حضارة الموجة الثانية ، ومجتمع حضارة الموجة الثانية ، وإشكالية (الفرد والمجتمع) بحسب مقاييس الموجة الثانية متوقفاً عند :

١- حجم التغيير في ظل الموجة الثانية (في الحضارة الغربية) والحداثة التنويرية الصناعية

٢- الأسرة وكيف جرى الانتقال من الأسرة الكبيرة إلى الأسرة النووية .

٣- أما منطق الصراع وفلسفة التحالفات في مجتمع حضارة الموجة الثانية فيشتمل على :

- أ - قضايا الحرب والسلام ، الحروب والصراعات .
- ب - الثقافة في حضارة الموجة الثانية .

إن أهم الأفكار الفلسفية التي أوردها توفلر في هذا المقصد تقول: إن حضارة الموجة الثانية قد اتسمت بالآلية وبالإنتاج والاستهلاك الكثيفين . ويرى أن الحركة الصناعية الثقيلة هي أساس الموجة الثانية وفلسفتها التي حطمت وحدة الإنتاج والاستهلاك وفصلت المنتج عن المستهلك (أي طبقات المجتمع وشرائحه) وتوجهاته الفلسفية - المعرفية ، والعلمية .

أما ثالثاً : فدار في حضارة الموجة الثالثة وممهداتها الفكرية - الفلسفية والمادية التي وصلت بها إلى (العولمة) ،متوقفاً عند سلسلة من المشكلات مثل : طبيعة حضارة الموجة الثالثة ولاسيما فلسفة الإنسان ، وعلاقته الاجتماعية ، وصورة إنسان المستقبل ليكون مادة مجتمع حضارة الموجة الثالثة ، ومنطق التغيير في الأسرة ما بعد النووية ، وعلامات تشظيها اجتماعياً ومعرفياً . متوقفاً عند منطق الصراع وفلسفة التحالفات في ميداني العلاقات والثقافة والإعلام .

إذ وجد توفلر أن من الصعوبة بإمكان وضع تعريف شامل ومحدد لحضارة الموجة الثالثة التي يراها تأليفاً وتركيباً واسع المدى قائلًا إن هذه الحضارة تمتلك مفاهيمها الفلسفية والعملية والعملية الخاصة بها .

أما المبحث الثاني في فلسفة توفلر : فجاء بعنوان الديمقراطية في القرن الحادي والعشرين وفلسفة تداول الحكم فقد اشتمل على اثنين :

أولاً : درسنا فيه مفهوم الديمقراطية ، ودرسنا في ثانياً: الديمقراطية في فلسفة توفلر ومنظوره الكايوسي .

وجاء المبحث الثالث : بعنوان العولمة وإدارة الحدث (فلسفة الإدارة) في حضارة الموجة الثالثة ، درس فيه توفلر في ثلاثة فقرات :

مفهوم البيروقراطية ومفهوم الأدهوقراطية ، والتحول من البيروقراطية إلى الأدهوقراطية .

إذ يرى توفلر أنه من الجيد الانتقال من الأسلوب البيروقراطي في إدارة العمل وفلسفته إلى الأسلوب الأدهوقراطي لكي يكون الأفراد في مستوى سرعة الأداء والتنافس والتحديات وتسارع الزمن الهندسي.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان فرانسيس فوكوياما ونزعه اللاتاريخية موزعاً على أربعة مباحث :

دار المبحث الأول في نهاية التاريخ بين الفلسفة والاجتماع موزعاً على اثنين ، الأول ، فوكوياما ، قراءة فلسفية للتاريخ الشمولي للإنسانية . والثاني ، فلسفة الصراع من أجل الاعتراف ونيل التقدير .

في هذا المبحث حاول فوكوياما أن يروج لفكرة فلسفية مفادها إن العالم بعد انهيار جدار برلين بين الألمانيتين قد وصل إلى أفضل عالم ممكن في تاريخ الإنسانية انتصر فيه نظام الرأسمالية القائمة على الديمقراطية الليبرالية وفلسفتها البراغماتية في مواجهة الشيوعية ، وفلسفتها الماركسية وكلاهما نتاج الحضارة الغربية في حقبة الحداثة وما بعدها .

إذ يهدف فوكوياما في هذا المبحث إلى جعل التاريخ يتوقف عند أمريكا وفلسفتها الكايوسية .

وتناولنا في المبحث الثاني ، المفهوم الفلسفي للثورة البيوتكنولوجية وأثرها في حياة الإنسان على سبيل التفاعل بين فلسفة الحضارة وفلسفة العلوم بإيجاز .

ودرسنا في المبحث الثالث ، فلسفة التصدع العظيم عند فوكوياما من الإنسان إلى الحضارة في ثلاثة فقرات موجزة درست فيها دراسة أولية (عصر المعلوماتية) والتصدع العظيم وفلسفته ، وصولاً إلى علاقة رأس المال الاجتماعي بقضايا (الثقة ، الأسرة ، الأنحراف) بايجاز .

ووقفت في المبحث الرابع : عند فلسفة الدولة ووظيفتها الاجتماعية من وجهة نظر فوكوياما بثلاثة فقرات دارت في : أزمة التنمية في الدول النامية (الفقيرة) ، وفلسفة الحروب الاستباقية أو ما يسمى بحرب النوايا ، متوقفاً عند محنة الأنموذج الأمريكي وفلسفته.

ودرست في الفصل الرابع : صاموئيل هنتنغتون وفلسفته الحضارية (صدام الحضارات) : موزعاً على أربعة مباحث :

تناولت في المبحث الأول : فلسفة الحضارة عند هنتنغتون ومنظوره لفكرة (الصدام الحضاري) .

ووقفت في المبحث الثاني عند (مشروع) صدام الحضارات : منطلقاته الفلسفية ودوافعه الأصولية بعد أن رفض هنتنغتون فكرة فلاسفة النزعة التاريخية الداعية إلى الحوار بين الحضارات ، والثقافات متوقفاً عند الخطر الذي يمثله الإسلام ، والحضارة الإسلامية المتحالفة مع الحضارة الكونفوشيوسية على حضارة الغرب ومستقبله ولاسيما أمن الولايات المتحدة الأمريكية .

لنتحدث في المبحث الثالث عن العلاقة بين (صدام الحضارات) وخطوط التصدع الجيوسياسية على صعيد الكرة الأرضية .

أما المبحث الرابع والأخير : فعرضنا فيه جدلية العلاقة بين الذات والآخر في ظل منطق العولمة .

نخلص من جميع ذلك إلى حقيقة تقول إن المشروع الفلسفي (اللاتاريخي) الذي مهد للموجتين الثانية للحضارة والثالثة ، لا في أوربا بل في (الغرب = الأمريكي) قد ارتقى في تطوره الرأسمالي وفلسفته الكايوسية إلى نمط (سوبر إمبريالي) في إطار من (العولمة)، والثورة المعلوماتية جعلت من المجتمع الإنساني (قرية كبيرة) على الأرض ! يحكمه شعار (المعرفة قوة) فما هو موقفنا منها ، وما نصيبنا من ثمارها ؟ أسئلة تكشفها نتائج الأطروحة الفلسفية والحضارية التي تكشف حجم (التقدم والتخلف) بين خندق الصدام والحوار ! والتعاون ذلك هو السؤال الأهم الذي حاولت أطروحتنا الإجابة عليه ، علماً في ذلك تقدم خدمة لمن يعينهم الأمر ! لردم الفجوة بين (شعب الأوليات الحضارية) ومسيرة الحضارة في موجتها الثالثة ! (المعاصرة والمستقبلية) .

ولا يسعني في نهاية المقدمة إلا أن أسجل شكري ، لجميع من صححوا لي خطأ ، أو صوبوا لي نتيجة ولاسيما الأساتذة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة والأستاذ المشرف مادام الهدف الأخلاقي للمعرفة الفلسفية في مجتمعنا ، أن نصل بالحضارة إلى (مناخ إنساني) يحقق للإنسان أنماء شخصيته وحفظ كرامته ، ليسهم مع الآخرين في دفع عجلة التقدم الحضاري إلى أمام في عالم تنحسر فيه أسباب القهر ، وأفكار الكراهية والتناحر ! تلك هي مهمة الفلسفة والهدف الأسمى للعقلاء ! .